



البطل أبي

عن قصة الشهيد (*)
مبارك فالح النوت

بقلم
أ. د. كافية رمضان

(*) تمت الاستعانة بحديثات الشهيد من كتاب الدكتور بنيان تركي.

البطل أبي

- ١ -





953.8 رمضان، كافية.
البطل أبي: قصة الشهيد مبارك فالح التّوت / بقلم كافية رمضان. ط5 - الكويت:
مكتب الشهيد، 2013
37ص : 21سم - (بصمات في تاريخ الكويت)

1 - الشهيد مبارك فالح التّوت.
2 - الكويت - تاريخ - الاحتلال العراقي (1990/8/2 - 1991/2/26).
أ - العنوان. ب - السلسلة

Depository Number: 2005/00351

ISBN: 99906 - 84 - 02 - 2

البطل أبي

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

البطل أبي

- ٣ -





إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً وفضاً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والاجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكمت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمة أحمد الأمير

البطل أبي





استيقظت مع إطلالة أول شعاع نور يتسرب إلى غرفتي عبر شباكها القريب من سريري، فقد تركت الستائر مفتوحة لاستقبال ضوء النهار.

كانت تغمرني سعادة بالغة، فالיום والغد لهما واقع خاص جداً في نفسي، إنهما يمثلان ذكرى العيد الوطني وعيد التحرير، وهي مناسبة انتظرها كل عام.

فتحت الشباك لأملأ رثتي بالهواء النقي. آه كم هو يوم جميل. توضأت، وصليت، واتجهت صوب دولا ب ملابسي، أنتقي منه ثوباً جميلاً.

لبست ثوبي وزينت شعري بشرائط ملونة بألوان علم وطني الكويت. وأدرت مفتاح جهاز التسجيل، وحرصت على أن يكون الصوت خفيفاً كي لا أوقظ إخوتي في الغرف المجاورة، وانطلقت الأغاني الوطنية التي يحملها الشريط..

وطني الكويت سلمت للمجد وعلى جبينك طالع السعد
آه كم هو يوم جميل .. وذكرى رائعة ليو منا الوطني وذكرى التحرير.
إنه ليس يوماً عادياً، وفرحتي به ممزوجة بفخر عظيم، فأبي ساهم في صنع يوم التحرير.. هكذا يقول لي كل من حولي. فلقد سمعت هذه العبارة كثيراً وملاّنتي بالفخر والاعتزاز.. وهل أجمل من أن أكون ابنة لمن ساهم في كتابة تاريخ الوطن بدمه الزكي؟

ولكن كيف؟ إنني لا أعرف تفاصيل كثيرة، وأمي كانت تؤجل الحديث معي لصغر سني.. ولكنني قد كبرت الآن، وأستطيع أن أفهم أكثر. وقررت أن أستفيد من هذا اليوم لمعرفة أبي أكثر، ولمعرفة ظروف استشهاده.





فتحت باب غرفتي، فسمعت حركة خفيفة، فعرفت أن أمي خرجت من غرفتها .. فهي أول من يستيقظ في هذا البيت.

اتجهت إليها .. فوجدتها تعد طعام الفطور في المطبخ، وما أن رأته حتى قالت: أهلاً أهلاً يا شيخخة .. أهلاً أهلاً يا حبيبتي، ما هذا الإشراق؟ وأكملت مرددة بنغم لطيف تعرفه مسامعي جيداً ..

هلا هلا بصياحك ..

قلت ضاحكة: أكملني ..

ولولو البحر مطواحك، والبين ما يدلك ولا يسمع صياحك.
هكذا أسمعك تردددين على مسامع أخي فالح ومسامعنا جميعاً،
ولكني قد كبرت يا أمي عن سماع هذه الأهزوجة.
قالت أمي ضاحكة: من قال قد كبرت؟ إنكم .. أطفال في نظري.
إن الأم ترى أبناءها صغاراً وإن كبروا.

سكتت أمي قليلاً ثم قالت بابتسامة مشرقة تضيء وجهها الحنون:
تعالى هنا .. أخبريني ما هذا الثوب الجميل؟ .. ما هذا التألق؟ .. ثم إنك
استيقظت اليوم أبكر من أيام الدراسة .. التي أتعب بها لكي أوقظكم ..
فما السر في ذلك؟

قلت بعد أن قبلت رأس أمي: أنا سعيدة بهذه الإجازة الوطنية إنها
تملّوني بمشاعر الفخر والاعتزاز، فأبي رحمه الله قد ساهم في هذه
الذكرى الغالية.

البطل
أبي





ابتسمت أُمِّي .. ورأيت خلف ابتسامتها دموعاً تترقرق، ولكنها
غالبت الدمع وقالت بتأكيد: نعم .. نعم .. يحق لك أن تفخري، ويحق
لنا أن نفخر، ويحق لكل الكويتيين أن يفخروا بكل شهداء الكويت
رحمهم الله جميعاً.

رددت خلفها بصوت خفيض: رحمهم الله جميعاً.

واستدرت لأخرج من باب المطبخ، فقد شعرت بأني أثرت انفعالات
أُمِّي، ولكنها استوقفتني قائلة:

ها .. يا شيخة .. إلى أين؟ ألا تساعدينني في إعداد الفطور؟

ابتسمت وقلت: ولكنني أراك قد انفعلت.

سكّت قليلاً ثم قلت: أنا آسف يا أُمِّي أن أثرت مشاعرك.

ابتسمت أُمِّي وقالت: إن مشاعري لا تحتاج من يثيرها، وأنت
تعرفين ذلك.

قلت: ولكنك تغالبن الدمع.

قالت: ولكنني مليئة بالفخر أيضاً .. وهذا شعور جميل ورائع، فأنا
زوجة بطل، وأنت ابنة بطل.

قلت بفخر: ابنة بطل .. نعم أعرف ذلك.

سكّت قليلاً، وقلت في نفسي .. آه فرصة مناسبة أن اسأل أُمِّي
أسئلة تدور في ذهني كثيراً.

لفت شرودي نظر أُمِّي فقالت:





ها .. ها يا شيخة .. ما الذي يشغلك؟

قلت بعد تردد: بصراحة .. لدي أسئلة كثيرة تتعلق بأبي.

قالت: أبوك بطل شجاع ضحى بدمه فداء لوطنه الحبيب.

قلت: أعرف ذلك .. ولكني أريد أن أعرفه أكثر، وأن أعرف ظروف استشهاده. فقد كنت صغيرة وقد كبرت الآن، وأشعر أن لدي رغبة في أن أعرف تفاصيل أكثر عن أبي وعن بطولاته.

احتضنتني أمي بحب .. وقالت:

نعم كنت صغيرة يا حبيبتي، وربما يكون الوقت قد جاء الآن لتعرفي أكثر، ولكن انتظري حتى نجتمع وبقية أفراد الأسرة على الفطور. خاصة وأن اختيك علياء ورشا سيقضيان يومي الإجازة عندنا وسيكون هناك متسع من الوقت للحديث المشترك عن البطل الحبيب.

أسرعت أعد الأطباق للفطور .. وأحضرت أطباقاً إضافية، بينما كانت أمي تجهز الأكواب والملاعق.

كنت أسترق النظر إلى وجه أمي فأرى على وجهها ظل ابتسامة وفي عينيها حزناً خفياً.

تزلت لنظراتها الحزينة وملت نفسي أن أثرت موضوع استشهاد أبي معها في بداية يومها .. وملت نفسي أكثر أنني دعوت أمي لاسترجاع كل ذكرياتها عن ظروف استشهاد. فهذا الاسترجاع سيسحبها إلى كل ذكريات الغزو الغاشم على الوطن .. وهي ولا شك ذكريات أليمة.





لفت شرودي نظر أمي فقالت مداعبة: ما هذا الحزن الذي يطل
من عينيك؟ قبل قليل كنت مليئة بالسعادة والفخر.. فكيف تغيرت.
ابتسمت وقلت: لمْتُ نفسي.

ضحكت أمي وقالت: أعرف ذلك.. ولا داعي للوم النفس.. فإذا
كنت تعتقدين أنك تدفعينني لاستعادة شريط الذكريات فأنت مخطئة،
فهذا الشريط دائم الدوران أمام عيني.
عجبت من ذكاء أمي وقلت مداعبة:

الآن عرفت لماذا اختارك أبي زوجة. إنك ذكية جداً وقادرة على
قراءة الأفكار.

ضحكت أمي كثيراً ثم قالت:

الآن فقط اكتشفت أنني ذكية!!!

تلعثمت قليلاً، ثم قلت لا.. ولكن.

قالت: ولكن.. ماذا؟.. على العموم هل تصدقين أنني كنت قد
نويت أن أستغل ذكرى العيد الوطني ويوم التحرير للحديث عن البطل،
وطلبك كان تلاقياً في الأفكار، فلا تلومي نفسك.

نظرت إلى أمي نظرة مليئة بالإعجاب.. شعرت أمي بها، فاقتربت
مني واحتضنتني..

لم أقو على الكلام، فضغطت بذراعي على زندي أمي، ووضعت
رأسي على كتفها، وتنفست بعمق.. آه ما أجمل هذا الشعور!!!





بقيت لحظات، ثم سحبت نفسي سحباً وأنا أغالب دمعي، وإذا
بجرس الباب يدق دقات متواصلة.
أسرعت لأفتح الباب.. وإذا بأختي رشا وزوجها، فبادرتني رشا
مداعية: ما هذا .. (زرعتونا) عند الباب!
قلت: أهلاً! صدقيني لم أسمع إلا في هذه اللحظة، فقد كنت في
واد آخر.
رددت رشا: واد آخر؟! ونحن مزروعون هنا.. خذي أحلمي عني
هذا الطبق.
آه .. رائحة الهيل والزعفران تخترق أنفي آخ.. إنه «قرص عقيلي»
كم تجيده رشا.
قلت: شكراً يا رشا.. سيكون فطوراً حافلاً.
قالت: ومن مثلي يصنع «قرص عقيلي» إنه أفضل من جميع كعكات
الدنيا.
قالت ضاحكة: لا مانع من الاعتراف بأنك أمهر طبخة في
الدنيا.
وضعت الطبق على المائدة. واندفعت رشا وزوجها يقبلان رأس
أمي. وإذا بجرس الباب يدق من جديد.
قالت رشا: أسرع يا شيخة، فلا شك أن علياء قد وصلت.
فتحت الباب فإذا بعلياء وزوجها.. وبيد علياء سلة خبز وعلبة
حلوى.
قلت: أهلاً.. وصلت الإمدادات.
قالت علياء ضاحكة: إمداداتي.. خبز خمير ورهش، وعليك أنت
«استكانة شاي» ويكمل الموضوع.





استلمت الخبز والرهش من علياء، وانطلقت لأضع ما بيدي على المائدة بينما تتطلق قبلات الترحيب بين أُمي وأختي.

أسرعت إلى إيمان لتتضم وأختي ريما وأخي فالح إلى بقية أفراد الأسرة حول المائدة، وفي نفسي شوق عارم لسماع بطولات أبي.. ولكن كيف سيفتح الموضوع؟ ومن سيفتحه؟ وكيف؟

بدأنا الفطور، وقسمت أُمي كعكة القرص العقيلي، وقالت سموا بالرحمن، وابدأوا بقرص عقيلي، فهو ما زال ساخناً، وهذا أُلذ هيا.. رددنا البسملة جميعاً، ودارت أكواب الشاي بالحليب، ولكن أُمي لم تضع شيئاً في فمها.

يبدو أن أختي إيمان انتبهت لذلك فقالت.

ما بك يا أُمي، إنك لم تذوقي شيئاً بعد، خير إن شاء الله.

قالت أُمي: لقد شردت قليلاً.

صبت إيمان كوب من الشاي بالحليب لأُمي.. وقدمته لها قائلة:

إن الشاي من يدي له طعم آخر، تفضلي.

ابتسمت أُمي ابتسامة خفيفة، ولم تعلق.

قالت: إيمان: ما بك يا أُمي؟.. إنك تفرحين عندما نجتمع كلنا

على مائدة واحدة، فما بالك اليوم؟

قالت: أُمي الحمد لله على نعمه الكثيرة.

قالت رشا وقد أقلقها شرود أُمي: هل أنت تعبte يا أُمي؟

ابتسمت أُمي وقالت: لا.. لا أبدأ.

قلت: أنا السبب في شرود أُمي.. لقد طلبت منها تفصيلات أكثر

عن استشهاد أبي.





قاطعتي أمي قائلة: أنا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع.. إن اجتماعنا في هذا اليوم المبارك فرصة أستطيع بها أن أتحدث عن البطل العزيز.

تحرك أخي فالح الصغير من مكانه، واقترب من أمي، وقبل رأسها وقال: إذن سأستمع إلى بطولات أبي الآن، إن هذا تأكيد منك أنني قد كبرت، فقد كنت ترفضين الدخول في التفاصيل، وتقولين لي حتى تكبر.. حتى تكبر.

قلت ضاحكة: لقد كبرنا يا فالح، كبرنا، ونستطيع أن نسمع الآن القصة كاملة.

قال فالح مشجعاً أمي على البدء في الحديث:
الآن سيكون الحديث عن البطل، عن أبي.. أبي مبارك فالح مبارك النوت.

قالت أمي: رحمه الله رحمةً واسعةً، ورحم شهداءنا جميعاً.
رددنا كلنا: رحمه الله ورحمهم جميعاً.. اللهم آمين.
قالت أمي:

عندما أستعيد شريط ذكرياتي مع أبيكم رحمه الله، أجده شريطاً حافلاً بذكريات عزيزة على نفسي، فهو زوج كريم وأب رحيم.. كانت علاقاته بأهله وأصدقائه مليئة بالمودة وحسن التعامل.

قالت رشا مشجعةً أمي على الاستمرار: لقد تخرج أبي في الجامعة تخصص اقتصاد وإدارة أعمال، وكان يهتم بقضايا الاقتصاد والسياسة، وكان يحفظ الدستور الكويتي بكل فقراته ومواده مرجعاً لمن حوله في هذا الشأن.





قالت ريما تكمل الحديث، وعلى وجهها ابتسامة خفيفة: لقد رشح أبي نفسه لانتخابات مجلس الأمة مرتين أملاً منه في النجاح ليفتح باباً جديداً يقدم من خلاله خدماته لوطنه الذي يحبه.. ولم يحالفه الحظ، ولكنه استمر في خدمة وطنه في عدة جهات حكومية وخاصة.

قالت علياء: لقد عُين أبي مديراً عاماً لجمعية العارضية التعاونية في ٢٧/٧/٩٠، وبعد مضي خمسة أيام على توليه منصبه الجديد اجتاحت القوات الصدامية أرض الكويت الآمنة.

فرت دمة حزينة من عين علياء فسكتت، وسكتنا جميعاً..
ولكن أمي استجمعت شتات نفسها وقالت:

لقد كان كلامكم عن البطل مقدمة جيدة تساعدني على الحديث. وإن كانت مقدمة مختصرة، فحياته رحمه الله كانت مليئة بالعمل والكفاح، ولكنني سأحدث معكم هذا الصباح عن ظروف استشهاده.

قلت بلهفة: هذا ما أنتظر سماعه.

لم ترد أمي.. ولكنها سحبت نفسها طويلاً، ثم وضعت يدها على جبهتها تحبس عنا رؤية عينيها، تنهدت، وبقيت صامتة حتى ظننت أنها لن تتحدث.

لم يعلق أحد منا.. بقينا جميعاً صامتين.

فجأة رفعت أمي رأسها بهدوء، وقالت بصوت حزين:

فوجئ البطل كما فوجئ الكويتيون باجتياح القوات الغازية لأرض الكويت.. فقد كان يدير جهاز المذياع، وجاءه خبر الغزو، كالصاعقة، فاندفع نحوي، وكنت أعد حينها الفطور، فقد كان بالنسبة إليّ حتى تلك اللحظة يوماً عادياً، ولكن بادرني بصوت متهدج قائلاً:





لا أصدق يا أم فالح.. لا أصدق ما أسمع.. لا يمكن.. لا يمكن.
ملأني الرعب، فقلت: خيراً يا أبا فالح.. أخبرني.. أخبرني أرجوك ما
الذي حدث؟!

قال بحزن بالغ: ما الذي حدث؟ الكويت يا أم فالح.. الكويت..
وانفجر باكياً..

لم أفهم.. فلم أكن أتوقع شيئاً يمس الكويت.. ولكنني اندفعت نحوه
قائلة بقلق بالغ: قل لي ماذا حدث، ما الأمر؟!

قال الكويت يا أم فالح.. الكويت اجتاحتها قوات صدام.
لم أتمالك نفسي.. وقعت على الأرض.. وأنا أردد: مستحيل..
مستحيل.. لا يمكن.. لا يمكن.

اتجه البطل نحو جهاز الهاتف وهو يردد: لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم، هل هذا جزاء الكويت. هل هذا جزاء كرم الكويت.. هل
هذا جزاء الأخ والشقيق.. لا أصدق.. لا أصدق.

استجمعت قواي، وتبعته منهارة قلقة، فوجدته يُجري مجموعة من
المكالمات الهاتفية، فقد كان غير مصدق، وكلما أجرى مكالمة هاتفية
ازداد يقيناً أن الاجتياح قد حدث فعلاً، وإن ما استمع إليه عبر الإذاعة
يؤكد الأصدقاء.

ازداد انهياراً وتوتراً، وأنا مثله.. وفجأة سمعنا صوت هدير
الطائرات، فاندفع صوب النافذة، ففتحها، ونظر إلى السماء، ثم سقط
على الأرض قائلاً:

البطل
أبي





ها هي الطائرات الغازية تحلق في سماء الكويت.. ستترك يا رب.
عاد إلى الهاتف مرة أخرى يتصل بالأصدقاء ليطمئن على سمو أمير
البلاد وولي عهده حفظهما الله خوفاً من أن يكون قد حدث لهما أي
مكروه، لا قدر الله ولكن لم تكن لدى أحد إجابة شافية... اندفع نحو
المذياع مرة أخرى، ووجده يردد الأغاني الوطنية، ويكرر نبأ الاجتياح
الكامل.. فقرر أن يخرج من البيت.. وبدأ يبدل ملابس البيت بملابس
الخروج.

ملأني الخوف، فحاولت أن أمنعه قائلة: إلى أين يا أبا فالح؟.. إلى
أين؟ انتظر قليلاً حتى نعرف معلومات أكثر.
رد عليّ لائماً: ماذا؟.. هل تريدني مني أن أبقى في البيت والكويت
تستباح لجنود الطاغية.. لا بد أن أفعل شيئاً.

حاولت أن أمنعه من الخروج، ولكنه قد ارتدى ملابسه بلمح البصر
واندفع يشغل محرك السيارة، ثم ينطلق غير عابئ برجائي له أن يبقى
قليلاً حتى نستطلع الأمر.

اندفعت إلى سجادتي أصلي، وأدعوا الله أن ينصر الكويت،
وقرأت كل ما أحفظه من آيات قرآنية.. ولساني لم يتوقف عن الدعاء
أن يحفظ الله الكويت وأميرها وشعبها وحكومتها من كل مكروه، وأن
يعيد إليّ زوجي سالماً.

غاب حتى المساء.. وأنا أراقب عودته.. ولكن جاءني صوته عبر
الهاتف قائلاً: أنا في الجمعية يا أم فالح.. الأمير وولي العهد بخير..
وسيغادر الغزاة الكويت بعد أيام، فلا تقلقي.

قلت: سمعت ذلك في الإذاعة، ولكن.





قال: ليس الآن وقت الحديث يا أم فالح.. طمّنتي العيال.. سأعود إن شاء الله بعد أن أنجز عملي.. مع السلامة.
لم ينتظر أن أرد، وأغلق سماعة الهاتف.
مر وقت طويل حتى عاد إلى البيت منهار منكسر النفس، ووجدنا مجتمعين عند جهاز التلفاز، وفالح نائم في حجري..
فاستقبلته إيمان بأكية: هل صحيح أن العراقيين احتلوا الكويت؟
لم يرد.. فبكيناً جميعاً.. فقال بصوت تملؤه الثقة.
سينصرنا الله، وسيخرجون بعد أيام بحول الله وقوته.
قلت: إنهم يقولون إن في الكويت ثورة، وهم جاءوا لدعم الثوار.
ابتسم وقال بمرارة: أية ثورة يا أم فالح؟ هل تصدقين ذلك.. إن الكويتيين جميعاً.. حكومة وشعباً قلب واحد ويد واحدة.. والكويت أسرة واحدة قولاً وعملاً.. فمن يثور على من؟!
قلت أعرف ذلك، ولكن بياناتهم تقول ذلك.
قال: يبررون لأنفسهم غزو الكويت، وليخدعوا من يستطيعون خداعه ولكن لن تتطلي هذه الخدعة على أي كويتي أو كويتية أو عربي شريف.

قالت رشا: وهل سينسحبون بعد أيام كما قالوا؟

قال: أرجو ذلك.. أرجو ذلك.

قال عبارته وذهب ليتوضأ ويصلي.

بقى يصلي وقتاً طويلاً، ويدعو الله كثيراً.

انتظرتكم حتى غالبكم النعاس من التعب والارهاق، فذهبتن إلى غرفكن، ولجأت إلى كتاب الله العزيز، وفتحت المصحح لاقراً سورة





يس، حتى يفرغ أبوكم من صلاته، وعندما فرغ أنطلق يقرب محطات الإذاعة يتابع الأخبار ثم قال:

سيأتي بعض الأصدقاء بعد قليل لندرس أمور الجمعية، فأنت تعرفين أنني منذ خمسة أيام عُينت مديراً عاماً لجمعية العارضية التعاونية، وقد تعرضت محتويات الجمعية للسرقة والنهب.. خاصة وأن الجمعية مغلقة للجرد السنوي، ولا بد أن نعمل شيئاً لخدمة الكويت وأهالي المنطقة.. ولذا سيكون الاجتماع في منزلنا هذا المساء بعد قليل.

لم يمض وقت طويل حتى بدأ الأصدقاء بالوفود على منزلنا، اجتمع معهم الشهيد مدة طويلة.. ولما انصرفوا عرفت منه أنهم عرضوا عليه فكرة فتح الجمعية واستمراره في عمله السابق مديراً لها وأنه تحمس للفكرة وأيدها.. وأجابهم أنه مستعد لتحمل المسؤولية كلها، وأن الجمعية جمعيتهم، وأنه تحت تصرفهم، كما أخبرهم بأن في الجمعية مبلغاً من المال يقدر بمائة ألف دينار كويتي كعملة نقدية يخشى أن تقع عليها عيون الغزاة.

وبعد التشاور تم الاتفاق على توزيع المبلغ على مجموعة من الأفراد أهل الثقة لحفظها عندهم إلى حين انفراج الأمور.

لم نم ليلتها.. وقضينا وقتنا بالصلاة والدعاء.. ومتابعة محطات الإذاعة.

في صبيحة اليوم التالي انطلق البطل مبارك مسرعاً لتقصي أوضاع الجمعية، والالتقاء بالأصدقاء لمتابعة أخبار الاجتياح، عله





يصل من خلاله إلى معلومات أخرى. عندما عاد عرفت أنهم وزعوا المبلغ النقدي كم تم الاتفاق عليه ليلة البارحة، كما قامت مجموعة من رجال المنطقة بتدارس أمور توفير احتياجات الناس وتوعيتهم بشأن التعامل مع الأزمة، من حيث العناية بحفظ الأطعمة، ومياه الشرب، والاقتصاد في الانفاق حتى تتجلى الأزمة، بإذن الله، كما حرصوا على زيادة التلاحم والتكاتف بين أبناء الشعب الكويتي وعدم التأثر بالاشاعات التي يطلقها إعلام الغزاة إلى غير ذلك من توجيهات.

واستمرت لقاءاته بالأصدقاء على مدى يومي الخميس والجمعة وفي يوم السبت تم الاتفاق على تشكيل مجلس إدارة جديد للجمعية.

وطلب المجتمعون أن يتولى البطل مبارك إدارة الجمعية فقال: أنا تحت أمركم، ولكن لا بد من تدارس الاجراءات التي يجب أن تتخذ لحماية مصالح الوطن والمواطنين.

قال أبو صالح: إنهم يتهبون كل شيء، وأخشى أن يتهبوا السوق المركزي.

قال مبارك: سنمنعهم من دخول الجمعية.

قال أبو علي: لقد نهبوا المخازن، ولن يتورعوا عن دخول الجمعية مدججين بالسلاح.

قال مبارك: سنمنع المسلحين لكي لا يربعوا الأهالي، خاصة الأطفال والنساء وكبار السن.

قال أبو صالح: ماذا سنفعل إذا أرادوا الشراء بدينارهم الذي لا يساوي شيئاً أمام الدينار الكويتي الذي يزيد عنه عشرة أضعاف.





قال مبارك: سنصر على عدم مساواة الأسعار بين المواطنين والمحتلين.

وبالفعل تم الاتفاق على اللائحة الداخلية لتنظيم السوق، والتي تنص على عدم التعاون مع المحتلين وعدم المساواة في الأسعار بين المواطنين والمحتلين.

وإثر ذلك تم تنظيم السوق المركزي، وفتح أبوابه للمستهلكين ولكن أعداداً كبيرة من المحتلين تدفقت صوب باب السوق المركزي للدخول فتصدى لهم البطل قائلاً:

إن هذا سوق مركزي خاص بسكان المنطقة.. ولا يسمح إلا للكويتيين بالدخول.

قال أحد الغزاة.. لا يوجد شيء اسمه كويتيون .. أنتم مواطنون مثلنا.. ولن تستطيع منعنا من الدخول.

قال مبارك: لن أسمح لأحد منكم بالدخول.

قال أحد الجنود: لن نستطيع منعنا.

وبالفعل تدفقت أعداد من الجنود المسلحين، ودخلت الجمعية وروعت الأهالي، ولم يستطع أحد منعهم لكثرتهم، فتوافد عدد من سكان العارضية لإدارة الجمعية مشتكين من حمل الجنود الغزاة السلاح داخل السوق المركزي، والذين يسيئون التصرف ويسعون إلى مضايقة الكويتيين وتخوفهم، فتدارس البطل الأمر مع زملائه، وقرروا منع دخول الجنود الغزاة المحملين بالسلاح، وأدى هذا الوضع بالبطل إلى الدخول في مجادلات مع المسؤولين في النظام الصدامي الذين وافقوا على عدم دخول الجنود إلا بتصريح من القيادة. وهنا أصر

البطل
بني





البطل على الموافقة المكتوبة، وحصل عليها ووضعها في درج مكتبه، وقد أدى هذا القرار إلى الحد من دخول الجنود الغزاة إلى الجمعية. وقامت الجمعية بناءً على التوصية الثانية للبطل المساهمة في مساعدة الأهالي عن طريق إعطاء المواطنين ورقة ليشتري بها كل مواطن بقيمة عشرة دنانير كويتية ما يحتاجه بالأجل. كما حاول الشهيد منع الشراء بدينار الغزاة، وعندما لم يجد مفعلاً وافق على مضمض، ولكنه اعتبر الدينار الكويتي بعشرة أضعاف دينارهم وأوصى أن تباع السلعة للمواطن بسعر مخفض عن السعر الذي تباع به للمحتل فاشتكى جنود العدو لمسؤوليهم من تصرفات إدارة الجمعية، وألحوا على الشراء بأكثر من مبلغ عشرة دنانير.

ومما زاد الأمر سوءاً بالنسبة لإدارة الجمعية ذلك القرار الذي أصدرته سلطات الاحتلال الجائر بمساواة العملاتين، وقد سمح لهم هذا القرار بنهب محتويات الجمعية بطريقة غير مباشرة.

وهنا كان لابد للبطل وإخوانه من أعضاء الجمعية من التشاور لاتخاذ موقف صارم مما يحدث حتى إن مساواة العملة جعلت الأرفف تخلو من المواد الغذائية بشكل لا يمكن السكوت عليه وقرروا عدم السماح بذلك لحماية المستهلك الكويتي، على الرغم مما يتضمنه القرار من مخاطر.

ولما سمع المسئولون في النظام الصدامي بالإجراءات التي اتخذها البطل وزملائه استاءوا كثيراً ولذا أرسلوا مجموعة من الجنود لاقتياد البطل وعدد من أعضاء الجمعية، وبينما كان البطل مشغولاً بتوفير احتياجات المواطنين من المواد الغذائية تدفقت مجموعة من الجنود المحتلين على مكتب البطل، وقال أحدهم:

البطل أبي





هيا.. قم فوراً.. أنت وهؤلاء مطلوبون لسيدي محافظ
الفروانية.

فهمس البطل لزميله أبي صالح باستهزاء: سيده محافظ
الفروانية.. فنهره أحد الجنود:

ماذا تقول؟ هيا.. هيا.. لا وقت لديّ.

وبالفعل اقتاد جنود الاحتلال البطل وزملائه حتى دخلوا على ما
يسمى بمحافظ الفروانية الذي بادر البطل قائلاً:

أنت متعب كثيراً.. وآخرها معك؟

قال: إ مساواة ديناركم بالدينار الكويتي لا يجوز لاختلاف القيمة
الشرائية للدينار الكويتي. وأنت تعرف أن الدينار الكويتي أقوى كثيراً
وهذا يظلم الكويتيين كثيراً.

قال المسؤول الصدامي: إنك لا تثنى كلامك.. إن كلامك غريب
«هذا يظلم الكويتيين» أي كويتيين يا بابا.. لا شيء اسمه كويتيون.. كم
مرة نقول لكم ذلك.. أنتم مواطنون مثلنا.

تجاهل البطل ما يكرره المحتلون وقال:

لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العظيم.

فرد المسؤول الصدامي: كلامي لا يعجبك.. واضح.. لا يهم..

ولكن قل لي لماذا لا تعجبك مساواة دينارنا بديناركم؟

قال البطل: إن البيع ديناركم يعني أن البضاعة التي قيمتها
دينار تباع بمائة فلس فقط. وهذا الأمر سيجعل الجمعية خالية من
البضاعة.

فقال أحد الموجودين: هذا صحيح.





فقاطعة آخر قائلاً: ماذا؟ ماذا تقول؟ أتعارض الحزب؟ سترى عقاب ذلك.

فما كان من الذي أيد البطل مبارك إلا أن قال: هو يقول ذلك.. هذا رأيه وليس رأيي.. فكرته وليس فكرتي.

فقال المسؤول الصدامي للبطل: إنكم إلى الآن لم تفتحوا بقية محلات الجمعية.

قال البطل مدعياً عدم الفهم: فتحنا السوق المركزي، وهو أهمها جميعاً.

قال المسؤول الصدامي: أنا أريد أن يعود كل شيء كما كان، لا بد من فتح محلات الأواني، الألعاب، المكتبة، والحلويات.

قال مبارك: يبقى السوق المركزي وحده مفتوحاً، إذا إن المحلات الأخرى هي ملك لأصحابها من المواطنين الكويتيين من أهالي المنطقة.

فقال المسؤول الصدامي: غاضباً: من المواطنين الكويتيين؟ كم مرة أقول لك لا شيء اسمه مواطن كويتي.

فقال مبارك: أنا لا أستطيع فتح هذه المحلات بدون إذن أصحابها فهذا ظلم لهم.

قال المسؤول الصدامي: نحن سنفتحها بالقوة سنفتح رأسك إذا بقيت على عنادك.

فهم البطل التهديد.. ولكن لم يهتم.. وقرر وزملاؤه عدم فتح المحلات الأخرى التي طلب المسؤول الصدامي فتحها.. ولكن الجنود الغزاة كسروا الأقفال، وفتحوا المحلات.. وعلى الفور تم نهب محتوياتها.

البطل
أي





ازداد استياء البطل وزملائه، وقرروا مقاومة قرارات المحتلين، فخصصوا أياماً للنساء، وأياماً للرجال لدخول السوق المركزي.. فهذا سيحد من تدفق الجنود، خاصة في الأيام المخصصة للنساء، كما خصص أياماً للمواطنين وأياماً لجنود الطاغية متحدياً كل القرارات التي تصدر من قوات الاحتلال.

سكتت أمي قليلاً.. وسحبت نفساً عميقاً، فقالت أختي إيمان: لم نشأ أن نقاطعك، وأنت تتدققين في رواية الأحداث.. ولكن لدى سؤال..

فقالت الأم: تفضلي يا ابنتي.

قالت إيمان: ألم يكن أبي يعلم أن تحدي سلطات الاحتلال سيعرضه للمخاطرة بنفسه؟

قالت الأم: هو يعلم ذلك تمام العلم، ولكن الانتماء للأرض والولاء للوطن والشرعية أقوى من مشاعر الخوف مهما عظمت.

قلت: رحمك الله يا أبي، كم كنت بطلاً صامداً.

قالت رشا: لنعطي أمي فرصة كي تكمل لنا الأحداث.

سكتنا جميعاً لنتيح الفرصة لأمي لاستكمال روايتها عن رواية البطل الحبيب فقالت:

إن نشاط البطل لم يكن محصوراً في إدارة شؤون الجمعية.. بل امتد ليشمل نشاطات متعددة في خدمة أبناء وطنه. إذ عمل مع مجلس إدارة الجمعية على توفير المواد الغذائية والاحتياجات المختلفة، توزيعها على أهالي المنطقة مثل الخبز والغاز.. كما شمل نشاطه الاتصال بالمساجد وأهالي المنطقة، وحثهم على الصمود، وتشجيعهم





على الاستمرار بعدم التعاون مع المحتلين، وهو إضافة إلى ذلك عضو في اللجنة الشعبية لمنطقة العارضية، تلك اللجنة التي تشكلت بجهود عدد من المخلصين من أبناء هذا الوطن، وقد كانت لجنة موسعة قامت بالإشراف على شؤون منطقة العارضية.

قلت: وأين كانت تذهب أموال البيع في الجمعية؟
قالت أمي والألم يعتصرها: كانت أيام عصيبة.. لا أعادها الله علينا.. لقد كان الكويتيون الذين اعتادوا الحياة الطيبة يعانون من ضيق اليد، حيث لا رواتب ولا قدرة على السحب على بطاقات الائتمان أو البنوك، ولذا اتخذ مجلس اتحاد الجمعيات التعاونية قراراً بشأن صرف المبالغ النقدية للأهالي.. فجمع الشهيد مبلغ وقدره مائتان وخمسون ألف دينار كويتي من إيرادات الجمعية، وقرر وزملاؤه توزيعها على الأهالي. فطالبه جنود الاحتلال بهذه الأموال وادعوا أنهم سوف يسلمونها إلى البنوك ليستفيد منها الناس.

قلت بقلق شديد: وهل انطلقت هذه الخدعة على أبي؟
قالت أمي معاتبة: وهل تعتقدين أن البطل يصدقهم بهذه البساطة؟..
وهم الذين اعتادوا على الكذب والمراوغة!
قلت: الحمد لله، إذا رفض تسليم المبلغ.
أصرت ربما قائلة: أنا أذكر أنك ساعدت في ذلك، فهل تذكرين هذا الموقف ليعرفه أخي؟

قالت أمي ومازال الخجل يسيطر على قسمات وجهها:
أذكر مرة أنني ذهبت والبطل لاحضار بعض المنشورات السرية لتوزيعها على الأهالي.. واحترنا في المكان الذي نخفي فيه هذه





المنشورات، حتى لا يقع عليها جنود الاحتلال الذين ينتشرون في نقاط السيطرة، فقد كانت عقوبة اكتشاف المنشور هي الاعدام الفوري، فقال لي أبوك رحمه الله: يا أم فالح فكري معي، كيف نخفي هذه المنشورات لتوصيلها إلى الأهالي دون أن يفتضح أمرنا؟ فقلت له بعزم وتصميم: سأخفيها بين طيات ملابسني تحت عباءتي، وسأصرف طبيعية حتى لا ينكشف أمري.

وعندما خرجنا استوقفنا الجنود، وعاملونا بخشونة وعصبية.. ولكننا ضغطنا على أعصابنا لنتحمل الموقف حتى لا ينكشف أمرنا.. وفعلاً، استطعنا إيصال المنشورات حسب الخطة التي وضعت آنذاك.

قالت علياء: هل تذكرين بعض ما ورد في تلك المنشورات؟

قالت أمي: بالتأكيد، إنني لم أنسى شيئاً من ذلك.

كانت المنشورات تتضمن أخباراً تطمئن الناس، وتبين لهم نشاطات الحكومة الكويتية والمسؤولين الكويتيين في الخارج، كما تتضمن أخبار إنجازات المقاومة، وبعض الإرشادات للتعامل مع الظروف المناسبة التي يمرون بها.

سكتت أمي قليلاً ثم قالت:

ولن أنسى دور هذه المنشورات في الدعوة إلى الاعتصام الذي وجهته المقاومة الكويتية إلى الشعب الكويتي بمناسبة مرور شهر على الاحتلال.

قلت بحماسة ولهفة: وماذا تم في هذا الاعتصام؟





قالت أمي بتأثر شديد: يا له من يوم لا يُنسى، لقد سعد الكويتيون على سطوح المنازل في كل مناطق الكويت مرددين بصوت واحد:
الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

لم تستطع أمي الاستمرار.. وخنقتها عبرتها فبكت.. وحاولت كبح جماح انفعالها فلم تستطع وبكىنا جميعاً.. لقد كان موقفاً مؤثراً حقاً.
حاولت أن أخرج أمي من انفعالها، خشيت عليها، فقلت على الرغم من تدفق مشاعري.

وماذا كانت ردة الفعل عند جنود الاحتلال؟

قالت أمي مبتسمة بمرارة:

لقد زلزلتهم كلمة (الله أكبر) زلزلاً شديداً فأخذوا يطلقون الرصاص في كل صوب، ولكن الصوت لم يتوقف، فقد كنا نخفض رؤوسنا لنختفي خلف أسوار الأسطح، وعندما يتوقف الرصاص كنا ندوي مرة أخرى.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

قالت رشا باعزاز: إنه يوم لا يُنسى.. كان الكويتيون به يمثلون صوتاً واحداً يملؤه الإيمان بالله والوطن.

قالت: وماذا تم في يوم الاعتصام هذا؟

قالت أمي: لقد أُغلقت أبواب الجمعيات ومنها جمعية العارضية، وادعت إدارة الجمعية أن التعطيل بسبب وجود الجرد والتنظيف والترتيب.

قلت: وهل صدق المحتلون ذلك؟

البطل أبي





قالت أمي: لقد نجح أعضاء الجمعية في اقناع المحتلين بالأسباب التي أبدوها لإغلاق الجمعية.. ولكن هذا الاقناع لم يستمر.. إذ تبين لهم بعد يومين أن هذا التصرف إنما كان بسبب مرور شهر على الاحتلال مما آثر غيظهم وغضبهم على البطل وزملائه في إدارة شؤون الجمعية.

قال فالح: وهل كان هذا هو السبب في اعتقال أبي؟

قالت أمي: هذا وغيره من أسباب.

قال فالح: مثل ماذا؟

قالت أمي: لقد كان البطل يتحدى سلطات الاحتلال، ويرفض إطاعة أوامرهم، خاصة عندما يتعرض الأمر لصالح الماس أو المساس برموز الوطن.

قال فالح: وكيف كان ذلك؟

قالت أمي: سأذكر لك موقفاً تحدى البطل به سلطات الاحتلال عندما أبقى صورة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد معلقة في الجمعية.

قال فالح بفخر: والله لقد كان أبي بطلاً عظيماً.

سكت أخي فالح قليلاً، وهو يمسح دمعة فرت من عينيه ثم قال بتسؤل ممزوج بفخر.

في أيام الاحتلال.. ويُبقي صور سمو الأمير وولي عهده مرفوعة؟

رحمك الله يا أبي.

قالت أمي: نعم وسأذكر ما حدث.





قلت بلهفة: نعم.. نعم ماذا حدث بالضبط؟

قالت أمي: حضرت ذات يوم عناصر النظام الصدامي وأمروا البطل بإنزال صورتي سمو أمير البلاد وولي عهده حفظهما الله فرفض البطل أن ينزلهما.. فقال الضابط:

سأتي بعد يومين وإذا وجدت هذه الصور هنا فستعرض نفسك للمحاكمة.

قالت علياء: أعرف أن عقوبة تعليق صور الأمير وولي العهد هي الإعدام.

قالت أمي: وهو - رحمه الله - كان يعرف ذلك وعلى الرغم من معرفته بخطورة الموقف إلا أنه رفض الاستجابة، ولكن التهديد استمر بشكل مُلحّ مما اضطر معه مجلس الإدارة إلى أن يوافق على إنزال صور الأمير وولي العهد حفظهما الله.

قالت إيمان: وأين وضعوا هذه الصور؟

قالت أمي: لقد أخفى البطل هذه الصور في المخازن الأرضية للجمعية كما أخفى معها أعلام الكويت لأن اكتشافهم وجودها يثير غضبهم الشديد ويدفعهم إلى اعتقال من يجدوا العالم عنده.

قالت أختي ربما: أذكر أنه رفض أيضاً تعليق صورة رئيس النظام الطاغية.

قالت أمي: وهذه أيضاً كانت بطولة من والدك رحمه الله.

قلت بلهفة: أخبريني ماذا حدث؟





قالت أمي والحزن يعتصرها: في صبيحة أحد الأيام أحضر جنود الاحتلال صورة رئيس النظام البغيض وطلبوا تعليقها فحاول البطل أن يوضح لجنود الاحتلال أنه لا يستطيع عمل ذلك دون الرجوع إلى مجلس الإدارة.

قالت رشا: إنه موقف شجاع ولا شك أن وطنية أبي تغلبت على كل مشاعر الخوف التي يمكن أن تصيب الإنسان في مثل هذه الظروف.
قالت: وماذا حدث بعد ذلك؟

قالت: أمي: أمام إصرار جنود الاحتلال، أخذ البطل صور رئيسهم ووضعها تحت مكتبه في مكان وضع الأرجل، ولم يقم بتعليقها كما أرادوا.

قال فالح بخوف: إنه موقف شجاع، ولكنه ولا شك أثار غضبهم.
قالت أمي: لقد اعتبروه تحدياً منه لأوامر الطاغية.. وأضافوا هذا الموقف للمواقف السابقة والتي تمثلت في منعهم من دخول الجمعية ورفض التعامل بدينارهم، والدعوة إلى الاعتصام، بالإضافة إلى ما تبين لهم من مراقبتهم الشديدة له.

قلت وماذا تبين لهم؟

قالت أمي: تبين لهم أنه يعقد اجتماعات مستمرة مع بعض الأشخاص، واعتبروا ذلك تحدياً لقراراتهم التي ترفض عقد أية اجتماعات خوفاً من أن تكون تلك الاجتماعات السرية تتضمن تخطيطاً لحركة تقوم بها المقاومة الكويتية التي كانت تطلق راحتهم.

قال فالح: ومتى تم اعتقال أبي؟





قالت أمي بحزن يغطي قسما ت وجهها: في يوم ١٠ سبتمبر عام ١٩٩٠، اجتمع البطل مع أعضاء الجمعية، وفي أثناء الاجتماع دخل عليهم (الفراش) قائلاً إن الشرطة المحلية تطلب مبارك.. فلم يهتم البطل وقال له: أبلغهم بأنني سأخرج إليهم بعد قليل. فغادر (الفراش) مرة أخرى دون فائدة.. فلما عاد (الفراش) بعدها قال له: إنهم يقولون لك إذا لم تخرج فسوف يدخلون عنوة، ويخرجونك، فلما خرج لاستطلاع الأمر قبضوا عليه وتم سحبه إلى خارج الجمعية، ولحق به عدد من الأعضاء إلا أن العسكري طلب منهم الرجوع وإلا أطلق النار عليهم.

قلت بخوف شديد.. وماذا قال أبي؟

قالت .. وماذا يقول..؟ كل ما استطاع قوله لزملائه مقدراً الخطر الذي يحيق به.. الحقني يا أبا صالح.. الحقني يا أبا داود.

بكت أمي كثيراً.. وبكىنا معها. فغالبت رشا دموعها وأسرعت لصب الماء في كأس أمي وساعدتها على أن ترتشف منه قليلاً قائلة: أرى أنك قد تعبت وانفعلت كثيراً. ربما يكون من الأفضل أن نؤجل الحديث حتى تهدئي قليلاً.

رشفت أمي رشفة صغيرة من الماء، وقالت: لا.. لا بد أن أكمل، فإخوتك الصغار متلهفون على معرفة ما حدث.

قلت: نعم.. ولكننا نخشى أن نزيد من ألمك.

قالت أمي: لقد اتفقنا على أن أعرفكم القصة كاملة.

قال فالح: وهل سأل أبي عن السبب في اعتقاله؟

قالت أمي: نعم لقد سأل عن سبب اعتقال السلطات المحتملة له؟ ولكن الضابط أجاب بأن الاعتقال لمجرد التحقيق، وسيعود بعد قليل.





قلت: وماذا تم بعد ذلك؟

قالت أمي: اقتيد البطل إلى محافظة الفروانية، ثم حوّل إلى مخفر الفروانية.

قلت: وهل رأيته بعدها؟

قالت أمي: نعم.. ففي الساعة الثالثة عصراً من ذلك اليوم، قام الجنود المحتلون بتطويق.. منازلنا.. ورأيت البطل وقد بدا عليه التعب والإرهاق. فقلت له ما الذي حصل؟.. فرد عليّ محاولاً اطمأني، لا شيء.. لا تخافي.

قلت: وماذا كان شعورك وقتها؟

قالت بعد أن زفرت زفرة حارة: لقد كان يوماً عصبياً، لقد كنت خائفة عليه، فأنا أعرف وحشيتهم في التعذيب.. كما كنت خائفة عليكن، فأنا أعرف سلوكهم المشين، كما كنت أخشى أن يعثروا على آلة التصوير التي صور بها البطل فيلماً عن الاحتلال وممارسات جنوده الهمجية في حق أبناء الكويت.

قال فالح والخوف يهز صوته: وهل حصل مكروه؟

قالت أمي: الحمد لله أنهم لم يتعرضوا لنا لأنهم كانوا منشغلين بالبحث عن أشياء أخرى ولكنهم عثروا على آلة التصوير.

قلت بقلق شديد: وهل سألوا عن محتوى الشريط؟

قالت أمي: طبعاً ولكنني ذكرت لهم أنه يحتوي على صور تخص الأبناء، وانطلت عليهم الحيلة.

قالت رشا: إنني أذكر موقفاً مخيفاً مر في ذلك اليوم.





قال فالح: موقفاً مخيفاً؟.. ما هو؟.. إنني لم أسمع عنه .

قالت رشا: لقد كان أبي قارئاً رائعاً وكاتباً ممتازاً.. وكنت أحاول أن أتعلم منه كيفية الكتابة بلغة جميلة. فلما حدث الاحتلال كتبت رسالة مناشدة إلى الملك حسين ملك الأردن لكي يغير موقفه ويسعى إلى إنهاء الاحتلال لما له من علاقة طيبة برئيس النظام الحاكم في العراق.

قلت بلهفة: وماذا كانت تتضمن تلك الرسالة؟

قالت رشا: كانت تتضمن شتائم ضد صدام، وأفعال المرتزقة المشينة في الكويت من نهب وقتل وسفك للدماء.

قال فالح: وهل عثر الجنود على هذه الرسالة؟

قالت رشا والألم يعتصرها: لقد كان يوماً عصيباً ومخيفاً كما قلت.. نعم، وللأسف عثروا على الرسالة، وجن جنونهم، وطلبوني، وخفت على نفسي وظللت أرتعد خوفاً فأسمعوني شتائم قاسية، وظللت أبكي مدة طويلة وأمي تبكي، ولكنهم أخذوا الرسالة، وتركوني لأنهم كانوا مشغولين بأشياء أخرى أهم.

أكملت أمي قائلة: نعم.. كانوا يبحثون عن أسلحة وذخائر.

قال فالح: وهل كان في بيتنا أسلحة وذخائر؟

قالت أمي: كانوا يعتقدون ذلك، ولهذا السبب قاموا بحفر حديقة المنزل لاعتقادهم بأن البطل دفن أسلحة في ذلك المكان إلا أنهم لم يعثروا على شيء.

قلت: وكيف كان موقف أبي؟





قالت أمي بفخر واعتزاز: كان رحمه الله صامداً مؤمناً شجاعاً.
فقبل خروجهم به طلب أن يتوضأ لكي يصلي صلاة العصر، وما أن
فرغ من الصلاة حتى اقتاده الجنود إلى سيارة الجيب العسكرية.
قالت أمي عبارتها هذه، وانخرطت في البكاء... وانخرطنا معها.
فقالت رشا من خلف دموعها: لقد رفع يديه للسلام علينا. ويا لها
من لحظات مؤلمة حزينة، فقد كانت آخر مرة يرانا بها.. ونراه بها..
بكيها جميعاً حتى ابتلت وجوهنا.. وبقينا فترة على هذه الحالة فغالبت
علياء دموعها وقالت لوالدتي: أذكر يا أمي بأنك اتصلت بخالي على
الفور وأبلغته باعتقال أبي.

قالت أمي: نعم حدث أن طلب مني تجهيز نفسي، وتجهيزكم
جميعاً للذهاب إلى منزل أختي في منطقة الدسمة. وقد كان تصرفاً
ذكياً من خالك.

قال فالح: وكيف كان ذلك؟

قالت أمي: لقد عاد الجنود مرة أخرى إلى منزلنا بعد خروجنا
مباشرة تمهيداً لاعتقالنا، إلا أنهم بحمد الله لم يجدوا أحداً.
قالت ريما: أذكر أن خالي ذهب للسؤال عنه في ذلك اليوم.

قالت أمي: نعم. وطلب منه ضابط الاستخبارات أن يحضرني
واياكم جميعاً لتسلم والدكم، ولكنها كانت خدعة للتمويه لاعتقالنا
جميعاً ولكن أخي حفظه الله ذكر للضابط بأننا غير موجودين ولا
يعرف مكاننا. فقال له الضابط: سأمهلك يومين لإحضارهم وإلا
أحلناك للمحاكمة.

أبطل أبي





سكتت أمي قليلاً، وقالت: كانت أياماً صعبة مؤلمة، يشق على النفس استرجاعها ولكن لا بد من أن يعرفوا ما حدث.

قلت متسائلة: وهل حاول أصدقاء أبي إخراجهم من المعتقل؟
قالت أمي: طبعاً لقد بذلوا محاولات كثيرة. ووصل بهم الأمر إلى رشوة أحد رجال الأمن ليساعد في إطلاق سراح البطل، وأبلغهم رجل الأمن بأن ذلك يعد من المستحيل، وذكر لهم بأن القضية كبيرة ومعقدة، خاصة أن رجال الاستخبارات عثروا على المنشورات التي تدعو إلى الإضراب في مكتب البطل في الجمعية، وهذا يعد ذنباً كبيراً.

قلت: وهل استمرت محاولات الإفراج عنه؟

قالت أمي: ذكر لنا صديقه وزميله في الجمعية أبو علي على أنه ذهب للسؤال عن البطل فسأل النقيب الذي يعمل سكرتيراً لمن يدعي بمحافظ الكويت المحتلة فأجابه النقيب بقوله: أنس (مباركاً) نهائياً. وأنت الكل في الكل، والبركة فيك أنت، وأردف النقيب مكملاً.. لقد وصلت تعليمات من بغداد تأمر باعتقال مبارك. وهنا ملأ الرعب قلب أبي علي، فأبلغ على الفور بعض رجال المقاومة. وأشار عليه أحد الشباب بقوله: إن لدينا طرقنا لإخراج مبارك، وسوف نرشوهم. ولكن على الرغم من كل المحاولات التي بذلت إلا أنها وللأسف أخفقت في الإفراج عن الشهيد.

قلت برعب شديد: وهل تعرض أبي للتعذيب على أيدي قوات

الاحتلال؟

قالت أمي: يصعب عليّ أن أذكر ذلك لكم.. فهو موضوع مؤلم للغاية، ولكن جنود الاحتلال قساة القلب لا يعرفون الرحمة ولا الخوف من الله.

قال فالح: إذن عذبوه.

البطل
أبي





وانخرط باكياً .

قالت أمي بصوت منكسر: نعم يا بني، ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم .

قلت: وكيف عرفت؟

قالت بالصوت المنكسر نفسه: لقد وجدت آثار كي على الظهر
والرجلين وكانت عيونه بارزة بشكل غير طبيعي كما وجدوا آثاراً تدل
على صنوف التعذيب الجسدي والنفسي الذي تعرض لهما البطل في
المعتقل .

فقال فالح: ومتى استشهد البطل؟

قالت أمي: في يوم الخميس الموافق الثالث عشر من سبتمبر عام
١٩٩٠م طوق جنود العدوان جمعية العارضية.. وفي حوالي الساعة
التاسعة والنصف صباحاً دخل نقيب يحمل رشاشاً إلى الجمعية وسأل
عن مسؤول الجمعية، وطلب منه مقابلة الرائد كما طلب منه مقابلة
التلفزيون وقراءة بيان معد لديهم عن مبارك النوت، وكان مضمون
البيان أن مبارك مجرم خائن يتلاعب في الأسعار، وأن عقابه هو
الإعدام. فرفض مسؤول الجمعية قراءة البيان، ومن هول الصدمة لم
يتمالك نفسه، وأغمى عليه، وقام زبانيه النظام الحاكم في تلك الأثناء
بجر الشهيد مبارك، وتجولوا به في أركان الجمعية معصوب العينين،
حافي القدمين، مقيد الرجلين، ثم أخرجوه بعدها من الجمعية وأوقفوه
في ساحة الجمعية بالقرب من نخلة تحت عمود الكهرباء وأخرجوا من
في الجمعية لمشاهدة إعدام البطل، وكانوا يهدفون إلى نشر الذعر بين
المواطنين، وبعد قراءة البيان الأكذوبة، أطلق النقيب القزم الرصاص

البطل
بني





على رأس الشهيد المارد، فسقط صريعاً ثم أطلق على قلبه رصاصة ففاضت روحه إلى بارئها. غلب النشيج صوت أمي فسكنت تغالبها دموعها، بينما ارتفعت أصواتنا بالبكاء.

فترحمت أمي على الشهيد وترحمنا عليه.

ولما تمايلت أمي نفسها قالت: غادر المجرمون ساحة الجمعية. بعد أن منعوا الناس من الاقتراب من الشهيد، إلا أن زملاؤه أخذوا جثمانه الطاهر ووضعوه في سيارة إسعاف كانت بالقرب من الجمعية ثم تم نقله إلى مستشفى الفروانية وفي اليوم التالي تسلمه الهلال الأحمر حيث دفن في مقبرة الشهداء ضمن مقبرة الرقة.

قلت وأنا أمسح دموعي: رحم الله أبي، فقد كان شجاعاً عظيماً.

قالت أمي: رحمه الله وأسكنه فسيح جناته مع الشهداء جميعاً فقد كان مثلاً للشباب الوطني الغيور والمتفاني، في خدمة بلده في السراء والضراء.

قامت رشا من مكانها لكي تصب الماء من جديد في كأس أمي وقبلت رأسها وقالت كفى يا أمي لقد تقطعت قلوبنا ..

قالت أمي: إن استرجاع بطولات الشهيد واجب اتجاه أبنائه، واتجاه أبناء الوطن.. فالشهداء كتبوا تاريخ الوطن بدمائهم الزكية، ويجب علينا أن نذكر أمجادهم.. فذكرى الشهداء تضيء ذاكرة الوطن، وتحيي المشاعر.. وتعزز الانتماء إلى أرض هذا الوطن الجميل العزيز الذي يستحق كل تضحية وفداء.

قلت بفخر.. الآن عرفت لماذا أجد هذا الحب في عيون من حولي، فأنا ابنة بطل، يحق لي أن أفخر.

البطل
أبي





قالت أمي وطيف ابتسامة رقيقة يضيء وجهها الحزين: يحق لجميع أبناء الكويت أن يفخروا.. ويحق لهم جميعاً أن يحتفلوا بذكرى العيد الوطني وذكرى التحرير.. وكل الكويتيين في هذا اليوم يحتلفون بهذه الذكرى الغالية والتي ستكتمل فرحتنا بها عندما يعود أسرانا من سجون الطاغية.

قمت لأقبل رأس أمي.. وترحمت على أبي والشهداء جميعاً.. ودعوت ليفك الله قيد أسرانا، ثم انطلقت إلى جهاز التلفاز قاصدة إخراج أمي من انفعالاتها، فجاء صوت المغني مردداً:

كلنا للكويت والكويت لنا

كلمة قالها جابر معلنا

كلنا للكويت والكويت لنا

بقينا نردد معه، وعادت الابتسامة لترتسم على وجوهنا من جديد.

تمت بحمد الله،،

أ. د. كافية رمضان







